

المرور ، أو دق مسمار وهم جرا ، وإذا اتبنا مجرى المنطق هذا ، لوجدنا أن ثمة أنواعا مختلفة من أفعال الكلام ، كما أن هناك « أفعال الكلام » أو « أفعال الإداء » ، كما يسميها أوستن Austin وهذا يعنى الثبات من الأفعال التي تدخل في إطار « وأنا هنا . . . أن . . . » أى أفعال الإداء .

غير أن بيانا عن وظائف اللغة ، بيان يفكر كل الأفعال المسماة يعد صعب المآخذ تماما بحيث لا يجدى نفعا كبيرا ، وهنا نحتاج الى تصنيف هذه الأفعال الى مجموعات تكون لها مميزات وظيفية ، وهكذا ، يجب علينا الاتفاق على أن أفعال الأمر واصدار التعليمات والمطالبة واصدار الأوامر والنواهي لها صفة مشتركة وهى جعل المستمع اليها يأتى بفعل شيء ما وينتهى عن اتيان فعل ما ، اذا فلها تماثل وظيفي ، وقد نود تضمين تلك المجموعة الطلب والتساؤل والاستفهام ، وكلها تنطوي على جعل المستمع اليها يقول شيئا ، واذا اردنا تسمية هذه المجموعة من وظائف الحديث فقد نتبع أوستن Austin في تسميتها بالأفعال التوجيهية ، اذ انها ترمى الى تنظيم سلوك من يستمع اليها ، أو التحكم في بيتنا بصفة نهائية ، عن طريق اتاس آخرين ويقسم أوستن Austin كافة أفعال الحديث الى خمس فئات مختلفة ، وينبئنا الاتعوقنا المسميات التي يطلقها على تلك الفئات ، اذ انه يعتذر عن التعبيرات الجديدة التي صاغها ، وتتركب المجموعة الأولى من الأفعال التي تؤلف الاحكام على احوال الأمور والتسميات ، والتقديرية ، والتخمينات ، وهى الأفعال التي تعطى اضافة الى شيء ما ، حقيقة أو قيمة ، وتتركب المجموعة الثانية من الأفعال على شيء من السلطة أو النفوذ أو الحق من قبيل التعيين أو التصويت أو الأمر أو النصح أو التحذير ، أما المجموعة الثالثة من الأفعال فتتوزم المتحدث باتيان فعل معين مثل الوعد أو التعهد أو اعلان النوايا أو الامتصاح عن عقيدة أو ايمان . أما المجموعة الرابعة فتتناول السلوك الاجتماعى بصفة أساسية مثل الاعتذار وتقديم التهناتى أو المراء أو التحدى . وتتضمن المجموعة الخامسة اتخاذ موقف ازاء شيء معين مثل

اصلا ، وبالطبع ، قد لا يعبر ذلك العنصر الموقفى صراحة ، كما شاهدنا ، فكل منطوق لا يبدأ بلفظة « أنا » ، ولكن يمكن استهلال أى منطوق بكلمات من قبيل « أريد » أو « أتمنى » ، أو « الأمر » ، أو (استنكر) أو غيرها من منات الأفعال التي تعبر ، حرفيا ، عن النوايا ، والامانى ، والمعتقدات ، والتوكيدات ، دون تغيير المعنى فى سياق معين ، بأى حال من الاحوال ، ويمكننا القول بأنه ثمة تغيير محتمل لكل منطوق فى الظروف التي تبدأ بمثل : أنا . . . أن . . . وهكذا ، يمكننا اقتراح تفسير لعبارة « ادنى » و « محايدة » مثل اثنين واثنين أربعة ، فنقول « احسب أن اثنين زائد اثنين يساوى أربعة ، أو بالنسبة الى : كم الساعة » « أرجو أن تخبرنى كم الساعة ؟ » وبالنسبة الى : احضر هنا لحظة ، « أمرك بالمجيء الى هنا » ، وبالنسبة الى : يجب غسل هذه السيارة بعد ظهر اليوم بقولنا اطلب أن يقوم شخص ما بغسل هذه السيارة بعد ظهر اليوم ، وبالنسبة الى : ها هو بيل بقولنا « اتبنا بان هذا هو بيل » أو « دعنا نذهب الى السينما » بقولنا « اقترح أن نذهب الى السينما » . ثمة أفعال حديث معينة تتطلب ، فى ظروف معينة ، وصف طبيعة الفعل فى المنطوق بوضوح ، حتى يكون فعلا من هذا النوع ، ومن الناحية النطقية تكون لمثل هذه الأفعال خلفية قانونية أو دينية ، وعادة ما يكون المنطوق جزءا من الطقوس والشعائر الدينية ، فمثلا ، عند ذكر أسماء المشتركين فى حفل دينى على ظهر السفينة ، يشعر هؤلاء المشتركون بان عملية ذكر الاسماء لم تستخدم الكلمات « انى اسمى هذه السفينة . . . » وبالمثل فاننا نشعر بان الطفل لم ينصر بطريقة صحيحة فى حالة قول القس « دعنا نسميه ارشيبالد ، هلا سميناه كذلك ؟ » ويمكننا القول مع أوستن 1955 Austin (7) أن نطق صيغة لفوية محددة جزء أساسى من أداء الفعل ، هذا ، ويمكن تعميم هذه الفكرة بالنسبة للحديث برمته ، فنطق الحديث هو « أسلوب لاداء » فعل معين ، والكلام ليس فعلا فى حد ذاته ، الا اذا اعتبرنا تحريك المرء لذراعه فعلا ، فقد يكون تحريك الذراع جزءا من لعبة ضربية جولف ، أو ادارة حركة

(7) Austin, J.L. (1955), « How to Do Things with Words ».

المنافسة ، أو الرد أو التنازل ، أو الادعاء ، أو الافتراض .

والآن ، قد يبدو هذا النوع من التصنيف مشابها لنوع تصنيف الجمل الى خبرية وأمرية واستفهامية وتعجبية ، تلك الجمل التي نالها في كتب النحو ، وعلى هذا فهي مشابهة الى حد ما ، اذا ما استثنينا اتسامها بالتفصيل ، وقيامها لا على تحليل صيغ لغوية فحسب بل على الفرض من استخدام هذه الصيغ أو « اعتبارها » في مواقف الحديث الفعلية ، فمثلا : هل علينا ان نصنف الجملتين التاليتين معا : « هذا الطلاء ما زال بليلا » و « ستلتقى اجابتي غدا » لا لشيء سوى انها خبريتا الصيغة . فسي كثير من المواقف تفسر الجملة الاولى على انها تحذيرية ، وتفسر الثانية على انها وعد ، وفي الواقع يمكن اعتبار كلتا الاثنتين كتأكيد للحقيقة ، ذلك في سياق معين ، اذا ما نطق بهما بتنظيم ملائم ، فمثلا يقال : « اؤكد ان الطلاء مازال مبللا » و « اؤكد لك انك ستلتقى اجابتي غدا » . ومع ذلك ، فالامر يتطلب شيئا من الابداع لتصور موقف يجب علينا ازاءه القول « انا اعد بان الطلاء مازال مبللا » و « انا اذكرك انك ستلتقى اجابتي غدا » الا ان احدا لا يتصور العكس « انا اذكرك من ان الطلاء ما زال مبللا » و « اعدك بانك ستلتقى اجابتي غدا » ولو ان حقيقة امكان تصورنا هذا تعزز ما سبق لي قوله بالفعل من عدم وجود علاقة متناظرة بين مجموعة من افعال الحديث والصيغة النحوية لمنطوق ما ، وانه يبدو ان أي منطوق تقريبا يمكن ان تكون له اية وظيفة في سياق ما وموقف ما تقريبا ، وهكذا ، ليست صيغة المنطوق هي وحدها التي تحدد كيفية تهمننا له فحسب بل خصائص موقف الحديث برمته ، وهذا ما يجعل تصنيف افعال الحديث بطريقة نظامية وصحيحة علميا امرا جد صعب ، كذلك فانه السبب وراء لجوئنا الى حد كبير الى المعايير الخاصة بهذا الموضوع والتي تقوم على الفطرة السليمة ، وتمثل احدى المشاكل الكبرى للفويات والتي لم تحل حتى الآن في اكتشاف العلاقات بين السمات الصيفية للمنطوق وبين الموقف ، وهي

مشاكل تؤدي الى تفسير معين للمنطوق كتحذير او وعد او تأكيد او كمنال لمجموعة معينة اخرى من افعال الحديث ، ونود ان نعطي تفسيراً لتلك الملحوظة التي نسمعها بصفة عامة : « اننى ادرك ما تقوله ، لكنى لا اعرف ما تعنيه » والتي احيانا تختصر ببساطة لتصبح « انا لا افهمك » .

وظائف الحديث :

تكن احدى طرق معالجة هذه المشكلة في البدء بتحليل احد مواقف الحديث ، وبإحدى ذى ببدء ، يجب ان يكون هناك مشتركان هما انا وانت ، اى المتكلم ، والمخاطب ، او « المرسل » و « المستقبل » ولا بد من التصميم على وجود هذين المشتركين حتى في حالة الاتصال عن طريق الكتابة ، حيث من الطبيعي الا يتواجد المشتركان جسديا في نفس الزمان والمكان ، كذلك نكل كاتب يكتب الى او من اجل فرد معين على الرغم من انه قد يتصور قراءه بطريقة غير محددة ، وقد سبقت لي الاشارة الى الحالة التي نتحدث فيها الى انفسنا ، ونوهت الى ان مثل هذا النشاط يتعلق ، بشكل ما ، بعمليات تفكيرنا ، او انه ذو وظيفة تنظيمية ذاتية ، ولكن ما يعنينا هنا هو التخاطب ، اى الوظيفة الاجتماعية للغة ، فالتحدث الى نفسك ليس نشاطا اجتماعيا بالنسبة للناضجين ، على الرغم من ان التمييز قد لا يكون واضحا بالنسبة للاطفال الصغار .

بياجيت 1926 Piaget (8)

ولكى تتم عملية التخاطب ، يجب ان يقوم الاتصال بين المشتركين ، فالتقرب الجسدي بين شخصين لا يقيم موقفا كلاميا ، وعلينا ان نجعل الناس منتبهين ، وفى الواقع ان رفض المرء الانتباه في مواقف معينة ، عن عمد ، وما نسميه « مقاطعة شخص ما » يعتبر فعلا ذا دلالة في حد ذاته ، هذا ، ويمكننا بطريقة مجدية التمييز بين ايجاد الاتصال و « المحافظة على الاتصال » اذ يتم اولهما عن طريق الاعمال التي تجذب انتباه المستمع ، وتوضح اننا نود الاشتراك معه نفسه ، وليس مع شخص آخر ، في المحادثة ، وتسمى هذه الاعمال « بالنداءات » من نوع او آخر ، مثال ذلك : هيا ، بيل ! ارجو المعذرة ، يا سيدى ! ويمكننا وصف

(8) Piaget, J. (1926), « Language and Thought of The Child », English edn, Routledge and Kegan Paul.

لا نتخاطب معه عن طريق اللغة ، ويمكن حدوث ذلك إذا كنا غير مشتركين في تقاليد الكلام ، أى فى حالة عدم وجود نظام لغوى مشترك بيننا ، اذ تمثل السمات الشكلية للغة المشتركة بين المشتركين عاملا هاما فى موقف الحديث .

وعندما نتخاطب مع شخص ما فإنتنا ننقل شيئا ما ، رسالة ، وقد يحد الموقف من سبل نقلنا تلك الرسالة بطرق متعددة ، فإذا كان الموقف ضاحكا صاخبا ، قد يتطلب الأمر منا الصياح ، واذا كان مهتما ، قد يكون من الواجب علينا الاختصار ، واذا كان الموقف رسميا فعلىنا انتقاء مجموعة من الكلمات التى تختلف عن الكلمات التى قد نختارها فى موقف غير رسمى ، ولكن - حتى بعد أخذنا كل تلك الأمور فى اعتبارنا - يمكن نقل نفس الرسالة بمجموعة من السبل المختلفة ، هذا ، وتعد صيغة الرسالة نفسها أحد عوامل موقف الحديث ، اذ يمكن استخدامها بحيث تنقل شيئا ما .

وقد تكون كل هذه العوامل السبعة : المتحدث ، المستمع ، والاتصال بينهما ، والمجموعة اللغوية المستخدمة ، والخلفية ، والموضوع ، وصيغة الرسالة - قد تكون كلها بؤرة فعل الحديث ، أى العنصر الذى يوجه النشاط اليه ، ويمكن ربط وظيفة مختلفة للحديث مع كل من تلك العوامل ، فإذا كان التوجيه نحو المتحدث ، فأمامنا ما سبق تسميته بالوظيفة الشخصية للغة ، فمن خلال هذه الوظيفة يكشف المتحدث عن موقفه ازاء ما يتحدث عنه ، وفى آخر الأمر يفصح لمستعته عن شيء من شخصيته ، ولا يقتصر الأمر على أنه يعبر عن احساسه « من خلال اللغة » ، بل عن احساسه « بصدد » ما يتحدث عنه ، ونحن كمستمعين يكون الأمر اخباريا اذ نستشعر فقط ان المتحدث غاضب وحزين ، أو سعيد ، ويصبح الأمر تخاطبيا حين ترتبط حالته الانفعالية بما يتحدث عنه ، أى بسبب غضبه أو حزنه أو سعادته .

والحديث الموجه الى المستمع هو ذلك الحديث الذى تكون وظيفته توجيهية ، وهى وظيفة التحكم فى سلوك أحد المشاركين فى الحديث ، لا بقصد دفعه الى اتيان فعل معين ، أو التصرف أو الحديث فحسب ، بل ليسلك سلوكا وفق خطة ما أو أسلوب معين محبب للمتحديث بصفة عامة ، وقد يتم ذلك عن طريق الأمر

ذلك بأنه اتصال مادي ، ولكن لا ينبغى الانتصار على ايجاد الاتصال المادي ، بل يجب فتح قناة للاتصال والحفاظ عليه ، وغالبا ما نجرى « اختيارا للقناة » بتعبيرات من قبيل : اتسمنى ؟ ، أو الحث على الحديث بقولنا « تكلم جهارا » ، إلا ان الاتصال ليس ماديا فحسب ، بل انه نفسانى أيضا ، فيجب علينا الحفاظ على « الألفة » مع المستمع اليئا ، وجعله مهتما وودودا أو متعاوننا ومستمرنا فى المحادثة ونحن نفعل ذلك عن طريق ما نسميه عادة « محادثة قصيرة (لنوا) » أو « المحادثة حول شؤون تانها » مثل الطقوس والاستفسار عن الصحة ، وبث المديح والتشجيع ، ونحن نختبر كذلك اتصالنا النفسانى بالمستمع اليئا : « هل تفهمنى ؟ » و « هل تتابعنى بانتباه ؟ » . ونحن نساعد المستمع اليئا على فعل ذلك بتنظيم حديثنا بطريقة منطقية : « أولا وقبل كل شيء » و « وما أعنيه هو . . . » و « أما نقطتى التالية فهى . . . » و « كما سبق وأشرت . . . » هذا نوع من « ابراز » حديثنا .

هذا ، ولا تنشأ المحادثة أو الاتصال بين الأفراد فى فراغ بل فى زمان ومكان معينين ، وفى « خلفية » مادية وزمنية ، فقد يكون الأفراد جلوسا أو وقوفنا ، ماشين أو راكبين سيارة ، وقد يكونون من بين زمرة من الناس ، أو بفردهم معا ، بين اصديقاء أو غرباء فى حجرة ، أو كاتدرائية أو شارع ، وقد تؤدى كل هذه العوامل دورا فيما يجرى فى المحادثة ، إلا انها لا تمثل محورها . فقد يحد مكاننا ومع من نتحدث ووقت حديثنا مما نتحدث فيه وكيفية حديثنا جوله ، إلا انها ، لذلك السبب ، ليست موضوع محادثتنا ، وبالطبع ، ثمة أماكن وأوقات للتحدث عن أمور معينة ، وكذلك أماكن وأوقات لعدم التحدث عن تلك الأمور ، فمن الواضح أن موضوع الحديث يعد عنصرا هاما فى موقف الحديث ومهما كانت وظيفة المنطوق فهى دائما وتقريبا حول شيء ما ، وستنطوى على ما أسميته بالعنصر الخبرى وقد تكون ثمة علاقة أو لا علاقة بين خلفية واقعة الحديث والعنصر الخبرى فيه ، غير انه ثمة صلة بين موضوع الحديث ومضمونه الخبرى ، حتى لو كان الحديث حول أمور خيالية بحثة مثل الجنيات أو المفاريت أو احاديث القرن .

وقد نوجد اتصالا مع شخص آخر ، إلا اننا

مثل : «عادة ما يفعل الناس هذا أو ذاك» أو «عادة أو الطلب أو التحذير أو عن طريق عبارة نصح عامة مالا يفعل الناس هذا أو ذاك» أو «يجب عليك ألا تفعل هذا أو ذاك» ، عن طريق استصراخ العقوبات القانونية أو الأخلاقية المألوفة في المجتمع .

أما عندما تكون البؤرة مركزة على الاتصال بين المشاركين في الحديث ، فإننا نجد الحديث موظفا لإقامة العلاقات والحفاظ عليها ، والسمو بمشاعر السود والزمالة ، أو التكافل الاجتماعي ، وتتسم هذه الأمور بأنها ذات صيغة عظيمة ، أو من قبيل الطقوس ، الاستذنان ، والتحيات ، وإبداء الملاحظات حول الطقس والاستفسار عن صحة أفراد الأسرة ، كما تؤدي هذه الوظائف التي أحيانا ما يقال لها وظائف «اجتماعية» ، بالحركات ، والاتصال المادي ، وتعبيرات الوجه ، وكذلك بالتلويح ، أو الشد على الأيدي ، أو الابتسامات ومهمتها تظيف « الهدف » وجمله « رقيقا » .

أما الوظيفة التوجيهية للحديث نحو الموضوع والتي يغلب تسميتها بالوظيفة «الاسنادية» ، فهي تلك التي تلوح في عقول الناس إلى حد كبير ، وهي تحقق بطريقة نمطية عن طريق المنطق في المنطوق ، وكما رأينا فإن هذه الوظيفة هي التي أثارت الفكرة التقليدية ونحوها أن اللغة هي المختصة بنقل الفكر ، وتنسيق العبارات حول كيفية تصور المتحدث لمجريات الأمور في العالم

والآن نصل إلى الوظيفتين المرتبطتين بمجموعة نظم الحديث ورسائله ، وهما - من بعض النواحي - من أصعب الأمور التي يجب الالتزام بها ، فحين يتخاطب الناس أحدهما إلى الآخر ، يجب ألا يقتنوا باتقامة الاتصال بينهما فحسب عن طريق «اختبار الوسيلة» ومن قبيل ذلك قولنا : هل يمكنك الاستماع إلى ؟ - غير أن الاتصال مستمر بين المتحدث والمخاطب عن طريق اختبار فهمهما المتبادل بـ « هل أنت متتبع الحديث ؟ » « هل تدرك ما أقول ؟ » وهذا ما نستطيع تسميته بوظيفة التوجيه نحو الاتصال ، أما الطريقة المثلى لضمان كون الاتصال ناجحا فتكمن في مراعاة

المشاركين فيه لقواعد النظام بصورة فعلية ، فحين يشترك شخصان في لعبة مثل « الشطرنج » فليس من الضروري عادة التأكد - قبل بدئهم اللعب - من أنهما يتفقان على قواعد اللعبة ، لأن تلك القواعد معروفة وثابتة ولا يعترضها لبس أو ابهام ، أما حين يلعب الأشخاص « لعبة اللغة » فعليهم التأكد - بصفة مستمرة - من أنهم يلعبونها وفق نفس مجموعة القواعد وهذه هي وظيفة التعريف ، والتعريف عبارة عن بيان لتاعدة في « لعبة اللغة » ، يدعو المتحدث المستمع إلى قبولها حتى يمكن للمحادثة أن تستمر هذا ، وقد وصف العلم بأنه أسلوب للتحدث عن العالم ، وإذا ما نظرنا إليه بهذه الكيفية لوجدنا أن كتاب العلوم عبارة من كتاب لتواعد لغة للتحدث عن العالم ، وقد سميت وظيفة اللغة هذه بانها وظيفة ما وراء اللغة أو لغة عن اللغة ، وأنها الوظيفة الرئيسية في عمليتي التعلم والتعليم

أما عندما يكون التركيز على الرسالة ، فعلينا الاهتمام بالوظيفة التصورية للغة ، وهنا يجب علينا أن نتأكد تماما من أننا لا نخلط بين شيئين : استخدام اللغة للتعبير عن أفكار أصلية أو غير معتادة ، أو آراء أو مشاعر أو خيالات جامحة أو أي شيء في جمعبك ، وبين الوظيفة التصورية للغة للتعبير عما قد يكون دنيويا أو الأمور الواقعية أو الترهات البحتة ، وبالطبع يحدث الأمران معا وقد يكونا ملتزمين بطريقة لا فكاك منها ، ولكني أعني بالوظيفة التصورية للغة ذلك الشق الثاني فقد تستخدم اللغة للغة نفسها ، وللهجة التي تبثها المتحدث بها والمستمع إليها ، فأرجيز الأطفال وطنظنتهم قد تكون بغير دلالة ، وحتى لو كانت ذات دلالة فهي تدور حول شيء غير مشوق أو هام البتة ، وتتحقق وظيفتها من خلال أصواتها وإيقاعاتها وترنيماتها ، وما ذلك إلا نوع من استخدام اللغة ، وظيفته تصورية فليس المقصود من « ريت الكعكة » ، « ريت الكعكة » إعطاء وصفة لعامل الخبز .

ويتبع التحليل الذي أوردناه في الصفحات السابقة متابعة لصيغة ذلك التحليل الذي أوردته هيمس 1968 Hymes (9) ، وليس من الصعب التحقق من مدى تلك

(9) Hymes, D. (1968). « The ethnography of speaking », in J. Fishman (ed), Readings in the Sociology of Language, Mouton.

المتابعة ، على الأقل في نقطة معينة الا وهى : تصنيف
 أعمال الحديث ، ومن الواضح انه ينبغي ان تكون ثمة
 علاقة بين أعمال و ممارسة الحقوق والسلطات ، وبين
 الوظيفة التوجيهية للغة ، وبالمثل ، تستمر الوظيفة
 الاسنادية للغة ، الى حد كبير ، بواسطة تلك الاعمال
 التى تتخذ وجهة نظر النسبية لكيفية حل امور واقعية
 او افتراضية ، وفي الحالة البدائية الراهنة لمعرفتنا في
 هذا المجال ، فاننا نحتاج الى كلا الاعتبارين بالرغم من
 التداخل الذى قد يكون قائما بينهما ، غير ان ما يؤكد
 الاعتباران هو ان اى منطوق مفرد قد تكون له وظائف
 جديدة او يمثل أكثر من فعل واحد ، فالمنطوق قد يؤكد
 كيفية حل امر من الامور وقد يتطلب تصرفا ما من قبل
 المستمع ، وقد يكون له وظيفة اسنادية ووظيفة توجيهية
 ممثلا اذا قيل « ائتمنى بهذا الكتاب » فان ذلك « يؤكد »
 على وجود ومكان شىء ما ، ويضع نسبه لذلك الشىء
 و « يوجه » المستمع الى اتيان تصرف ما حياله .

تعليم اللغة ووظيفتها :

اننا لا نعلم ، بوجه التأكيد ، قوى وجود كل
 وظائف الحديث ، التى اشرنا اليها ، فى كل الثقافات .
 الا انه من المؤكد ان الاهمية النسبية لهذه الوظائف
 المختلفة قد تختلف من ثقافة الى اخرى ، وقد يتنوع
 توزيع تلك الوظائف ، ففى بعض الثقافات تبدو فيها
 وظيفة الاتصال اللغوى ، اى استخدام اللغة لاقامة
 الاتصال الاجتماعى وحسن النية والحفاظ عليها ،
 كأمر أكثر أهمية ، ممثلا يعتقد نفر من الناس ان
 التكرار النسبى للشكر يختلف فى أمريكا عنه فى بريطانيا
 ويؤدى هذا النوع من الاختلاف الى الحكم على ان
 الامراد فى طبقات وبلاد وفئات اجتماعية معينة ...
 الخ أكثر « ناديا » ، ففى بريطانيا ، مثلا ، لا توجد
 لدينا اجابة شماتية للتعبير عن الشكر ، كما هو
 الحال فى أمريكا اذ يقولون « مرحبا بكم » ، او مى
 فرنسا اذ يقولون « أتوسل اليك » اوفى المتبا اذ يقولون
 « أرجوك » . الا ان هذا لا يعنى عدم وجود اجابة لفظية
 موافقة لمثل هذا الموقف — بل ان صيغتها قليلة التنبؤ
 بها . وفى بعض الثقافات يعتبر توجيه الاسئلة امرا
 غير مقبول فى مهام معينة ، بينما يكسر الاستخدام
 الشعرى للغة فى ثقافات اخرى .

ولكى يشارك المرء فى الحياة الاجتماعية للمجتمع
 يجب ان يكون فى مقدوره ان يخاطب ويتلقى المخاطبة ،

ولهذا السبب يتعلم المتعلم لغة ما ، واذا ما تركنا
 جانباً حالة المتعلم الذى يدرس اللغة ببساطة كوسيلة
 للتقدم العلمى ثم يمتضى فى اهمالها ، فإى فرد يتعلم لغة
 يفعل ذلك الشىء ، او يطلب اليه فعل ذلك ، بحيث
 تصبح وظيفية او ناعمة بشكل ما وهذا لا يعنى قصر
 نطاق الوظائف التى اشرت اليها على تلك التى تكون
 طوع ابناء اللغة الاصليين . هذا ويمكن الحد من وظائف
 اللغة الى حد كبير ، فمتعلم اللغة قد يعرف — بكل
 دقة — الغرض الذى يريده من وراء اللغة ، او قد
 لا تكون لديه فكرة واضحة البتة ، كما شاهدنا فى الفصل
 الاول : نحن بحاجة الى تحديد اهداف اللغة فى اية
 عملية من عمليات تعليم اللغات ، ويمكن التعبير عن
 هذه الاهداف فى نطاق ما نود ان يتمكن المتعلم من
 عمله فى نهاية المقرر الدراسى ، ويمكن صياغة تلك
 الاهداف فى نطاق النوايا التى يجب ان يكون قادرا
 على نقلها ، وماهية فئات أعمال الحديث التى يجب
 عليه تأديتها ، او ماهية وظائف الحديث التى يجب ان
 يجيدها ، كما يمكننا تناول المسألة بطريقة مختلفة
 بتحديد ماهية الادوار التى يجب عليه ان يؤديها فى
 المجتمع ، فالدور الاجتماعى عبارة عن مجموعة من
 الحقوق والالتزامات تشغل نطاقا معينا من السلوك ،
 محدد بوضوح تقريبا ، ويتوقف على طبيعة الدور
 موضوع البحث ، وفى معظم المجتمعات ، لا يندمج
 المتعلم فى ذلك الدور كعضو تام مع كافة الادوار
 المتعددة التى قد ينجزها عضو فى ذلك المجتمع او
 ينتسب اليها ، ومن المحتمل ان ينسب اليه دور
 « الاجنبى » ولهذا الدور توقعات معينة ترتبط به ، من
 ذلك تسامح كبير ازاء الانحراف عن معايير السلوك
 المختلفة ، اللغوى منها وغير اللغوى ، وكثيرا ما نسمع عن
 ايجاد المعانير ازاء تصرف غريب يأتبه شخص اجنبى
 بكلمات من قبيل « لا يمكنك ان تتوقع منه معرفة ذلك
 فهو اجنبى » ، ومع ذلك فمن المحتمل جدا ان ماتوقعه
 من الاجانب ، اى الدور السلوكى « نلاجبى » قد
 يعرف بطريقة مختلفة للغة من ثقافة الى اخرى .
 ممثلا ، يمتد ، على نطاق واسع ، ان الفرنسيين
 يعدون اقل تسامحا من البريطانيين ازاء الانحراف اللغوى
 فى المتحدث الاجنبى ومن سوء الطالع اننا ما زلنا لا
 نعرف سوى القليل عن دور الاجنبى فى الثقافات المختلفة
 فيما يتعلق بالحقوق والتوقعات ، والدلالة التى لدينا انها
 تتسم بالتقصية والذاتية ، بينما يجد المتعلم دور الاجنبى

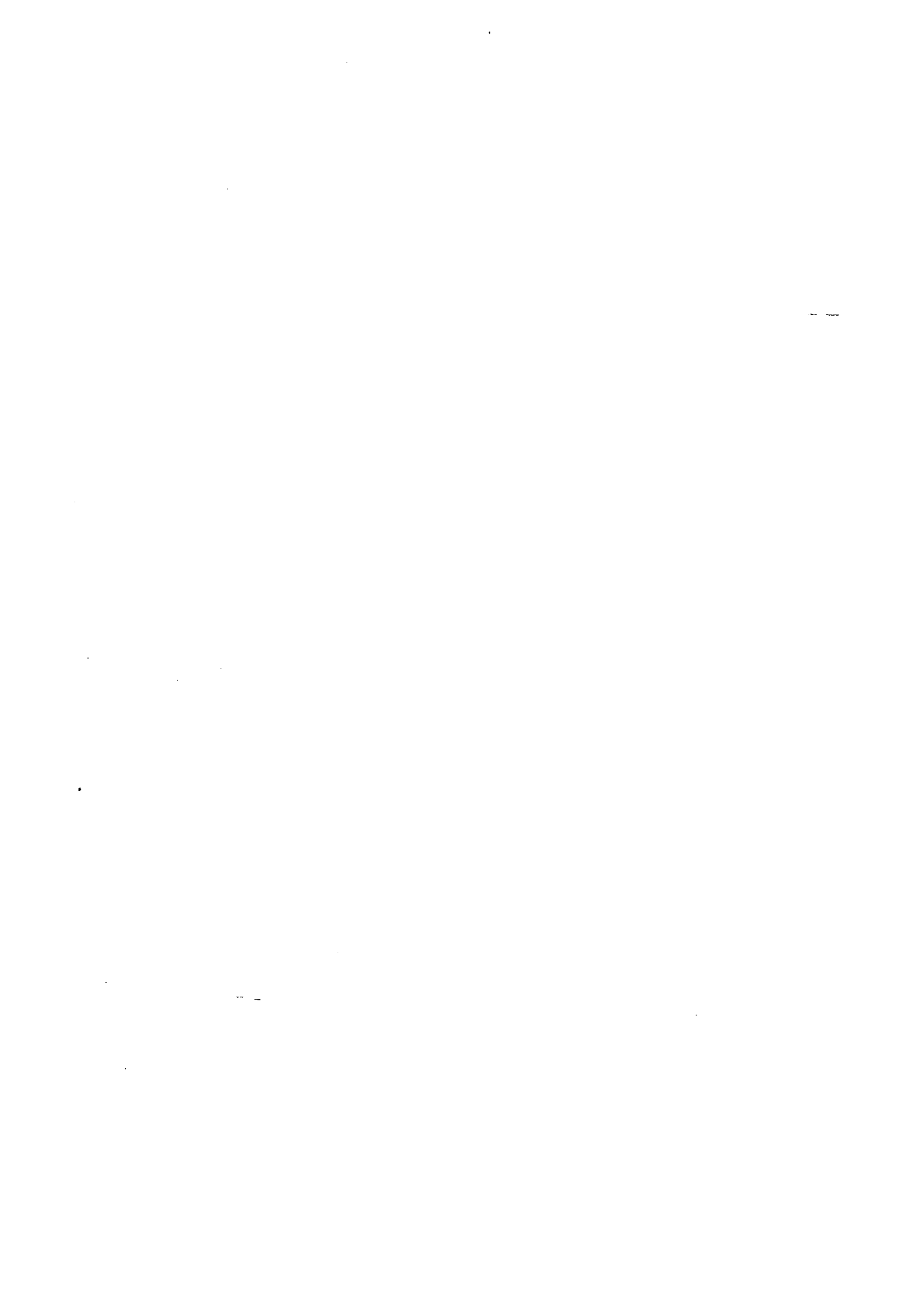
بطريقة مرضية خارجها ، وذلك يوحى بأن المتعلمين اكتسبوا وظائف الحديث الملائمة لحجرة الدراسة ، أو أنهم حققوا دور « متعلم اللغة » لا غير .

هذا وسنجد صعوبة في صياغة منهج « وظيفي » بفهم لغوي رسي الى أن نعرف قدرا كبيرا عن العلاقة بين الصور اللغوية ووظائفها في الحديث ، فنحن قد نعلم الطلب تكوين الجمل الاستهلامية ، ونفشل في تعليمه كيفية صياغة الاسئلة بطريقة ملائمة ، والى أن نعرف الكثير عن هذه العلاقة ، لا يمكننا تدريس الوظائف اللغوية بطريقة نظامية ، لذلك إذا نظرنا - من وجهة النظر الوظيفية - نجد أن ثمة مهمة على المتعلم يعجز المعلم - نسبيا - عن مساعدته بشأنها ، وهو موقف سنقابه بصفة متكررة في كتابنا هذا ، وإذا كنا محظوظين سيتعلم متعلمو اللغات في آخر المطاف قدرا كبيرا مما لا نعلمهم اياه أو لا نستطيع تعليمهم اياه لان وصف ذلك لا يتوفر لدينا بقدر كاف . هذا هو الحال بالنسبة لتعلم وظائف اللغة - من حيث استخدام اللغة لغرض ما ، ويكمن الحل الوحيد الذي علينا تقديمه ، في الوقت الحاضر ، في عرض كمية كبيرة ومتنوعة من اللغة على هيئة نصوص قرينية على الطالب ، وعليه أن يسمع ويرى « اللغة عمليا » وهذا لا يعنى الاستماع الى اللغة فحسب ، انما يعنى تقديم موقف الحديث برمته فلا يمكن للطالب ، مثلا ، أن يحكم من الصوت وحده على ما اذا كانت « ذلك الطلاء رطب » عبارة عن جملة اخبارية أو تحذيرية ، وعلى « ستاتي » كشيء من قبيل التنبؤ أو نوع من الامر ، فيجب على الاقل توافر البيانات التي يكشف فيها قواعد وتقاليد السلوك اللفظي بنفسه ، ونحن لا نهتم فقط بتعليم الطالب انتاج كلمات مترابطة نحويا بطريقة مقبولة ، بل بتعليمه استخدام اللغة لغرض ما ، ليتخاطب بها ويتلقى مخاطبة بها ، اي تعليمه أداء ادوار بعينها .

قد التصق به ، قد تكون هناك ادوار أخرى - مهنية : مثل العالم أو مندوب المبيعات ، أو مستقلة كما هو الحال بالنسبة مثل السائح أو الرياضي - التي قد يرغب في اتخاذها ، ومع كل من هذه الادوار ، ثمة مجموعة من وظائف الحديث التي يجب عليه اجادتها .

وفي أيامنا هذه ، هناك اهتمام كبير بمسمى اللغة العلمية أو التقنية ، والحاجة الى تدريسها ، وساتناول ذلك في الفصول القادمة ، ولكن قد يكون من المجدى تبني الرأي القائل أن ما ندرسه للمتعلم ليس لغة فرنسية أو المانية « علمية » ، غير أننا حتى اذا ما حددنا أهداف التدريس في نطاق أنماط المحادثة التي يعمد المتعلم نفسه للمشاركة فيها ، فإن فكرة وظائف اللغة تظل ملائمة . هذا وقد تركز كثير من البحث فيما يسمى « اللغة العلمية » على خصائص اللغة التي يستخدمها العلماء ، وعلى التركيبات النحوية المستخدمة وتكرارها النسبي ، وعلى طبيعة المفردات والتكرار النسبي للكلمات المختلفة (هادلستون 1971 Huddleston (10) وقد أثبت ذلك البحث أن الاختلافات بين مثل هذه المحادثة والمحادثة السلاعية لم تكن بالجسامة التي كان يمكن توقعها ، ولعلنا نجد أن معالجة تنطوي على تحليل اللغة العلمية في نطاق وظائفها تكون معالجة واعدة ، فقد نجد مثلا ، أنها قد تكون كما سبق واقترحنا ، شيئا وراء اللغويات بشكل غالب ، أو انه كان هناك رجحان لأعمال الحديث التنبؤية أو الاسنادية وانعدام فعلى للأعمال التوجيهية ، أو أن وظيفتها الشخصية أو الشاعرية ضيقة النطاق ، على أن مناهج عمليات تدريس اللغة تنيل الى التعبير في نطاق قائمة من الصور اللغوية المنروضة حفظها ، وربما لم يلتفت واضعو تلك المناهج كثيرا الى الغرض من استخدام تلك الصور اللغوية . وكثيرا ما يسمع المرء شكاوى متكررة من المعلمين مضمونها أن المتعلمين يبدون كما لو كانوا يتقنون اللغة في حجرة الدراسة ، بينما يفشلون في استخدامها

(10) Huddleston, R.D., (1971). « The sentence in written English : a syntactic study based on an analysis of scientific texts », Cambridge Studies in Linguistics, no. 3, Cambridge University Press.



تكوين الفكر العربي قبل الإسلام (3)

الدكتور رشاد محمد خليل

الطبيعة (وهكذا . . . وليس معنى هذا اننا نريد ان نشيء علما عربيا في هذه الابواب ذلك ان المادة العلمية التي سنعثر عليها مهما بلغت لا يساوي شيئا بجانب هذا الانقلاب الهائل الذي حققه العلم الحديث ولكن اهمية هذا التصنيف هو اعادة دراسة الفكر العربي دراسة علمية موضوعية على اساس من مناهج مقرررة لتحديد مكانته التاريخية ولكشف اسلوبه في النظر والتفكير وفهم الوجود المحيط بها ، وعرض هذا الفكر بصورته الجديدة والمدرسة على الاجيال العربية التي تجهل هذا الفكر جهلا تاما بل والتي لا تعرف ولا تتصور انه قد كان للعرب قبل الاسلام فكر وعلم على الاطلاق ثم لعرض هذه الصورة على العالم ليصبح موقفه من الفكر العربي وليصبح تاريخه للحضارة والعلوم الانسانية لان جميع الذين ارحوا للفكر الانساني وعلومه لم يضعوا في اعتبارهم قط احتمال ان يكون للعرب قبل الاسلام علم وفكر على الاطلاق والذي يلتقى نظرة على اى موسوعة تؤرخ لتاريخ الفكر وعلومه لن يخرج بغير هذه النتيجة ، ان الفكر العلمى بالمعنى الصحيح تراث يونانى نقله المسلمون الى اوريا .

يلحق بفصل التجريد والمجاز موضوع هو ثمرة من ثمرات التجريد والمجاز وهو موضوع كان يسمى قديما فقه اللغة وهو شئ آخر غير فقه اللغة في الدراسات اللغوية الحديثة وقد جمع بعض علماء اللغة قديما تحت عنوان (فقه اللغة) مادة لغوية رتبوها ترتيبا خاصا اطلق عليه ابو منصور الثعالبي اسم فقه اللغة وهذا الموضوع على جانب كبير من الاهمية وان كان اللغويون انفسهم لم يجمعوا هذه المادة على اساس علمى وانما جمعوها ورتبوها على اساس لغوى صرف مما جعلها في الغالب ناقصة ومبتورة ومشوهة ولكنه رغم القصور الذى في هذه المادة فهى تلفت نظرنا الى القيمة العلمية للمادة اللغوية الموجودة في بطون المعاجم والى ضرورة محاولة الاستفادة منها باعادة ترتيبها ترتيبا يهتم باستخلاص المادة العلمية منها وذلك بجمع كل المادة التى تتعلق بموضوع واحد في باب خاص بها ثم الابواب التى تنتمى لعلم واحد تحت باب عام خاص بها اى ان جميع المادة الخاصة بعلوم الحيوان مثلا تحت (علم الحيوان) وجميع المادة الخاصة بالنباتات تحت (علم النبات) وجميع المادة الخاصة بالطبيعة تحت (علم

كتب فقه اللغة :

الباب الثاني : في التنزيل والتمثيل وفيه خمسة فصول .

الباب الثالث : في الاشياء وتختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها وفيه ثلاثة فصول .

الباب الرابع : في أوائل الاشياء وأواخرها وفيه ثلاثا فصول .

الباب الخامس : في صفات الاشياء وكبارها وعظامها وضخامها وفيه عشرة فصول .

الباب السادس : في الطول والقصر وفيه أربعة فصول .

الباب السابع : في اليبس واللين والرطوبة وفيه أربعة فصول .

الباب الثامن : في الشدة والشديد من الاشياء وفيه أربعة فصول .

الباب التاسع : في الكثرة والقلة وفيه ثمانية فصول .

الباب العاشر : في سائر الأوصاف والاحوال المتضادة وفيه سبعة وثلاثون فصلا .

الباب الحادي عشر : في الماء والامتلاء والصفرة والخلاء وفيه عشرة فصول .

الباب الثاني عشر : في الشيء بين الشئين وفيه ستة فصول .

الباب الثالث عشر : في ضروب الالوان والانار وفيه تسعة وعشرون فصلا .

الباب الرابع عشر : في أسنان الناس والدواب وتنقل الحالات بها وفيه سبعة عشر فصلا .

الباب الخامس عشر : في الاصول والاعضاء والرؤوس والاطراف وأوصافها وما يتولد منها ويتصل بها ويفكر منها وفيه ستة وستون فصلا .

الباب السادس عشر : في الامراض والادواء وما يتلوهما وما يتعلق بها وفيه أربعة وعشرون فصلا .

من هذه الكتب التي تخصصت في موضوعات بعينها

كتب الأبل لابي حاتم السجستاني (— — 248) وللاصمعي (122 — 216) ، ولابي عبيدة (110 — 206) ، وللنضر بن شميل (122 — 203) ، ولابي زياد الكلابي ، ولأحمد بن حاتم الباهلي (— — 231) .

كتب الخيل لابن قتيبة (213 — 276) وابن الاعرابي (150 — 231) ، وأبي عبيدة ، وأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي (— — 245) ، وأبي محم محمد بن هشام الشيباني (— — 245) ، ولأحمد ابن حاتم .

وكتب الغنم والشاة لابي الحسن الاخفش (— — 215) ، وللنضر بن شميل وللاصمعي .
وكتب الوحوش للاصمعي ، ولابي زيد (119 — 215) ، ولابي حاتم السجستاني .

وكتب الطير لابي حاتم السجستاني ، والنضر بن شميل ، وأحمد بن حاتم الباهلي .

وكتب البازي والحمام والحيات والعقارب لابي عبيدة .
وكتاب الفرس للاصمعي .

وكتاب النحل والحشرات لابي حاتم السجستاني :
وكتاب النحل والعسل للاصمعي (1) .

والذي يستلفت النظر ان هذا النوع من التصنيف رغم قصوره يضع تحت أيدينا مادة خصبة لدراسة اسلوب العرب في تتبع مختلف الظواهر التي عرفوها وفي ملاحظتها وترتيبها وتصنيفها .

وقد جمع أبو منصور هذه الظواهر في ثلاثين بابا كل باب مقسم الى عدة فصول تتراوح بين ثلاث فصول وستة وستين فصلا في الباب الواحد .

وقد رتب أبو منصور ابوابه على الوجه الآتي :
الباب الاول : في الكليات وفيه أربعة عشر فصلا .

(1) مقدمة كتاب الحيوان للجاحظ ج 1 ص 14 — 16 نقلا عن وفيات الاعيان لابن خلكان وبغية الوعاة للسيوطي ونزهة الالباء وفهرس بن النديم وكشف الظنون ومعجم الادياء .

وقد فعل الإسكافي شيئاً قريباً من هذا في كتاب مبادئ اللغة وإن كان لم يقسم أبوابه إلى فصول كما فعل الثعالبي وكذلك فعل ابن سيده في كتابه المخصص وقد قام بإعادة ترتيبه وتنسيق مادته بعد الاستعانة بالقاموس المحيط وفقه اللغة والمصباح واللسان والاساس وغيرها من كتب اللغة - عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى في كتاب الإنصاح .

ونخرج من هذه التصانيف بأن العرب قد لاحظوا كفاية الظواهر التي وقعت تحت ملاحظتهم - حسية كانت أو معنوية - وحصروها ورمصوها في مختلف أحوالها ومن مختلف جوانبها .

أما من ناحية العموم والشمول كالكليات من سماء وأرض وحيوان ونبات . . الخ أو من ناحية اختلاف الأحوال واختلاف الأسماء والصفات باختلافها كأن يقال : كأس إذا كان يشرب فيها والافى زجاجة .

وكان يقال : الصبح في أول النهار والغسق في أول الليل وذلك في اليوم الواحد .

أو من ناحية الحجم كالكبر والعظم أو الضخامة والصغر . . الخ .

أو من ناحية الهيئة : كالطول والقصر . . الخ .

أو من ناحية الشدة : كالبيس والليونة والشدة والرخاوة .

أو من ناحية الكثرة والقلة .

أو من ناحية التضاد كالبياض والسواد .

أو من ناحية السعة كالخلاء والامتلاء .

أو من ناحية اللون أو النمو أو الصوت . . الخ .

ولم يلفت شيء من ملاحظتهم ما وقع تحتها كما أن ملاحظتهم للظواهر لم تكن سطحية أو عابرة تكفي بتوصف الشيء في عمومه وجملته .

ونضرب لذلك مثلاً باحدى الظواهر الحسية وهي : تفصيل كمية المياه وكيفيتها .

الباب السابع عشر : في ضروب الحيوانات وأوصافها وفيه تسعة وثلاثون فصلاً .

الباب الثامن عشر : في الأحوال والأعمال الحيوانية وفيه سبعة وعشرون فصلاً .

الباب التاسع عشر : في الحركات والأشكال والهيئات وضروب الضرب والرمى وفيه أربعون فصلاً .

الباب العشرون : في الأصوات وحكاياتها وفيه ثلاثة وعشرون فصلاً .

الباب الحادي والعشرين : في الجماعات وفيه أربعة عشر فصلاً .

الباب الثاني والعشرين : في القطع أو الإلتقاط والقطع وما يقاربها من الشق والكسر وما يتصل بهما وفيه سبعة وعشرون فصلاً .

الباب الثالث والعشرين : في اللباس وما يتصل به والسلاح وما ينضاف إليه وسائر الآلات والأدوات وما يأخذ مأخذها وفيه تسعة وأربعون فصلاً .

الباب الرابع والعشرين : في الأطعمة والأشربة وما يناسبها وفيه سبعة عشر فصلاً .

الباب الخامس والعشرين : في الآثار العلوية وما يتلو الأمطار من ذكر المياه وأماكنها وفيه ثمانية عشر فصلاً .

الباب السادس والعشرون : في الأرضين والرمال والجبال والأماكن والمواضع وما يتصل بها وفيه سبعة عشر فصلاً .

الباب السابع والعشرون : في الحجارة وفيه ثلاثة فصول .

الباب الثامن والعشرون : في النبات والزرع والفنل وفيه سبعة فصول .

الباب التاسع والعشرون : في ما يجري مجرى الموازنة بين العربية والفارسية وفيه خمسة فصول .

الباب الثلاثون : في فنون مختلفة الترتيب من الأسماء والأعمال والأوصاف وفيه تسعة وعشرون فصلاً .

اذا كان الماء دائما لا ينقطع ولا ينزح في عين
 او بشر فهو عِدَّ .
 فاذا كان اذا حرك منه جانب لم يضطرب جانبه
 الاخر فهو كُرَّ .
 فاذا كان كثيرا عذبا فهو عَدَق وقد نطق به القرآن .
 فاذا كان مغرقا فهو غَمَّر .
 فاذا كان تحت الارض فهو غَوَّر .
 فاذا كان جاريا فهو غَيْل .
 فاذا كان على ظهر الارض يسقى بغير آلة من دالية
 او دولا ب او ناعورة او منجّتون فهو سِيح .
 فاذا كان ظاهرا جاريا على وجه الارض فهو معين
 وسَيَم وفي الحديث (خير الماء السَيَم) .
 فاذا كان جاريا بين الشجر فهو غل .
 فاذا كان مستنقعا في حفرة او نقرة فهو ثَقَب .
 فاذا نبط من تعر البئر فهو نَبَط .
 فاذا غادر السيل منه قطعة فهو غَدِير .
 فاذا كان الى الكعبين او الى انصاف السُوق فهو
 ضَحْضاح .
 فاذا كان قريب الغمر فهو ضَحَل .
 فاذا كان قليلا فهو ضهل .
 فاذا كان اقل من ذلك فهو وَثَل .
 فاذا كان خالصا لا يخالطه شيء فهو قراح .
 فاذا وقعت فيه الامثة حتى كان يتدفق فهو سَدِيم .
 فاذا خاضته الدواب فككرته فهو طَرَق .
 فاذا كان متفيرا فهو سَجِس .
 فاذا كان نثنا غير انه شروب فهو آجِن .
 فاذا كان لا يشربه احد من نثنه فهو آسِن .
 فاذا كان باردا منتنا فهو غَسَاق (بتشديد السين
 وتخفيفها) ، وقد نطق به القرآن .
 فاذا كان حارا فهو سُخِن .
 فاذا كان شديد الحرارة فهو حَمِيم .
 فاذا كان مُسَخَّنًا فهو مُوعَز .
 فاذا كان بين الحار والبارد فهو فَايِر .

فاذا كان باردا فهو قار .
 ثم خَصِر .
 ثم شَيَم .
 ثم شُنَّان .
 فاذا كان جامدا فهو قارس .
 فاذا كان سائلا فهو شرب .
 فاذا كان طريا فهو غريض .
 فاذا كان ملحا فهو زُعَاق .
 فاذا اشتدت ملوحته فهو جُرَاق .
 فاذا كان مُرا فهو قُعَاع .
 فاذا اجتمعت فيه الملوحة والمرارة فهو أُجَاج .
 فاذا كان فيه شيء من العذوبة وقد يشربه الناس
 على ما فيه فهو شَرِيب .
 فاذا كان دونه في العذوبة وليس يشربه الناس
 الا عند الضرورة وقد تشربه البهائم فهو شَرُوب .
 فاذا كان عذبا فهو فرات .
 فاذا زادت عذوبته فهو نُفَاح .
 فاذا كان زاكيا في الماشية فهو تَمِير .
 فاذا كان سهلا سائفا متسلسلا في الحلق من طيبه
 فهو سلسل وسلسال .
 فاذا كان يمس الغلة فيشفيها فهو مَسُوس .
 فاذا جمع الصفاء والعذوبة والبرد فهو زلال .
 فاذا اكثر عليه الناس حتى نزحوه بشفاهم فهو
 مَشْفُوه ثم مَشْفُود به ثم مَضْفُوف . ثم مَكُوك ثم مَجْمُوم
 ثم مَنَقُوص وهذا عن ابي عمر الشيباني (2) .
امثلة لبعض الظواهر المعنوية :
 رجل مُعْجِب .
 نسَم تَائِه .
 ثم مَزْهُو من وَمَنخُو من الزهو والنخوة .
 ثم يادخ من البَدَخ .
 ثم اصيد اذا كان لا يلتفت يمنة ويسرة من كبره .
 ثم مُتَغَطَّر اذا تشبه بالغطارفة كثيرا .
 ثم مُتَغَطَّرِس اذا زاد على ذلك (3)

(2) فقه اللغة للثعالبي ص 289 : 129

(3) نفس المصدر السابق ص 154

المبوس :

- اذا روعى ما بين عينيه فهو قاطب وعابس
- فاذا كثر عن اتيابه مع المبوس فهو كالح
- فاذا زاد عبوسه فهو ياسر ومكهر
- فاذا كان عبوسه من الهم فهو ساهم
- فاذا كان عبوسه من الفيظ وكان مع ذلك منتفخا فهو مبرطم عن الليث عن الاصمعي (4)

كيفية النظر وهيئته في اختلاف احواله :

- اذا نظر الانسان الى الشيء بجامع عينه قيل رَمَعَهُ
- فان نظر اليه من جانب اذنه قيل كَحَظَهُ
- فان نظر اليه بعجلة قيل لَمَحَهُ
- فان رماه ببصره مع حدة نظر قيل حدجه بطرفه
- وفي حديث ابن سعود رضى الله عنه حدث القوم ما حدجوك بابصارهم

فان نظر اليه بشدة وحدة قيل ارشقه وأسف النظر اليه وفي حديث الشعب انه كره ان يُسِفَ الرجل نظره الى امه واخته وابنته .

- فان نظر اليه نظر المعجب منه او الكاره له او البغض اياه قيل : سَفَنَهُ وَسَفَنَ اليه سَفُونًا وَسَفَنًا
- فان اعاره لحظ العداوة قيل نظر اليه سَرَزَا

فان نظر اليه بعين المحبة قيل نظر اليه نظرة ذى علق .

فان نظر اليه واضعا يده على حاجبيه مستظلا بها من الشمس ليستبين المنظور اليه قيل استكسه واستوضحه واستشرفه .

فان نشر الثوب ورفع لينظر الى صفاقته وسخافته او يرى عوارا ان كان به قيل استشقه .

فان نظر الى الشيء كاللمحة ثم خفى عنه قيل لاحه لوحه كما قال الشاعر : وهل تنفنى لوحه لو الوحها فان نظر الى جميع ما في المكان حتى يعرفه قيل نفسه نقضا .

فان نظر في كتاب او حساب ليهذبه او ليستكشف صحته وسقمه قيل تصفحه :

- فان فتح جميع عينيه لشدة النظر قيل حدق
- فان لالهما قيل ترق عينيه
- فان انقلب حبلان عينيه قيل حلق
- فان غاب سواد عينيه من الفزع قيل ترق بصره
- فان فتح عين مغزوع او مهدد قيل جمج
- فان بالغ في فتحها وأحد النظر عند الخوف قيل حدج ونزع

فان كسر عينه في النظر قيل دنقس وطرفس من ابن عمرو فان فتح عينيه وجعل لا يطرف قيل شخص وفي القرآن شاخصة ابصارهم .

فان ادام النظر مع شكون قيل اسجد عن ابن عمرو ايضا (5)

فان نظر الى اتق الهلال لليلته ليراه قيل : تبصره فان اتبع الشيء بصره قيل اثره بصره (5)

* * *

يلاحظ على هذه الظواهر انها تتبع في طريق الملاحظة والاستقصاء والرصد والتسجيل خطوات المنهج العلمى التجريبي الحديث ولهذا كما نعتقد دلالة علمية خطيرة لانها تضعنا امام عقلية علمية تجريبية نضجت فيها الى حد كبير ملكات عقلية متعددة من قوة الادراك وشموله وسعته ومن سعة الخيال وتنوعه ومن عمق الملاحظة ودقتها ونفاذها ومن القدرة على الترتيب والتنسيق والتوصيف والتبويب .

هذا على الرغم من ان علماء اللغة يهتموا بالقيمة العلمية لهذه المادة وانما اهتموا بقيمتها اللغوية ولو انهم التفتوا الى القيمة العلمية التي التفت اليها الجاحظ في كتابه الحيوان لوصل اليها علم كثر ودقيق في مجال الظواهر التي وقعت تحت ملاحظتهم .

وابلغ دليل على ما نقول هو ذلك المرجع النفيس في علم الحيوان الذى بذل فيه الجاحظ جهده واستوعب فيه جل المادة المعروفة في عصره في هذا الباب مما نقل عن اليونان وغيرهم بالاضافة الى المادة العربية وفي هذا يقول الجاحظ وهو حجة في هذا الباب تحت عنوان

(4) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .

(5) فقه اللغة 113 - 114 .

معرفة العرب والاعراب بالحيوان : وقل معنى سمعناه
في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقراناه في كتب
الاطباء والمتكلمين الا ونحن قد وجدناه او تريبا منه
في اسفار العرب والاعراب وفي معرفة اهل لغتنا وملتنا

ولولا ان يطول الكتاب لذكرت ذلك اجمع . وعلى
انى قد تركت تفسير اشعار كثيرة وشواهد عديدة مما
لا يعرفه الا الراوية التحرير من خوف التطويل (6) .

وهذا الذى نراه يحملنا على ان نلفت النظر الى
انه اذا تأكد فضل العرب على الحضارة الغربية واذا
تأكد ان العرب هم الذين احيوا واسهموا في ارساء
قواعد المنهج العلمى التجريبي والتطبيقي وذلك ما
تناوله علماء ومؤرخون غربيون بالحديث والحداثة
فان ذلك لا يجوز ان يرد فقط الى الحضارة العربية
الاسلامية التى نضحت في ظلها العلوم التجريبية على

ايدي علمائها المشهورين من امثال الحسن بن الهيثم
وجابر بن حيان والرازي وابن سينا والبيروني
والادريسي . وغيرهم وانما يجب ان يرجع به الى
ما قبل الاسلام حيث وضع الاساس التجريبي وتكونت
العقلية التجريبية واذا كان التجريب قبل الاسلام
لم يأخذ طابعا معمليا ولم يتم على اساس وضع النظريات
وانشاء الفروض والتأسيس عليها واستخلاص النتائج
العلمية فان ذلك لا يمكن ان يقلل من قيمة المرحلة السابقة
على الاسلام لانها المرحلة التى اخترت ونضجت فيها
الملكات العقلية الاساسية اللازمة لهذا النوع
من الدراسة التى استطاعت حين اتاحت لها الفرصة
في ظل الحضارة الاسلامية وبعد ترجمة العلوم ان تؤتى
اكلها في صورة النظريات العلمية والمدرسات المعملية
التي ازدهرت بها جوانب كثيرة من جوانب المعرفة
التطبيقية في الكيمياء والبصريات والهندسة والطب
والجغرافيا والفلك . الخ على ايدي العلماء المسلمين.

مستقبل اللغة العربية في العالم

الأستاذ: محمد بن اسماعيل

ترجمة الأستاذ: محمد محمد الخطاطي

كما أنه يصعب أن ندرك أن العالم العربي الذي هو مقسم سياسيا بصفة متبادلة ليس لكل بلد منه لغة رسمية خاصة تتميز عن لغة البلاد الأخرى . فإلى أي طور وصلت اليوم لغة هذه البلدان وهل من الممكن أن تتخلص اللغة العربية الحديثة وما يتبعها من لهجات من هذا الضباب الكثيف المحيط بها ؟

من العربية الفصحى إلى « العربية الفرنسية »

يرى البعض - ونحن متفقون معه - أن اللغة العربية - حسب ما هي مستعملة في البلدان العربية - تتميز بصفة عملية بثلاث مظاهر ممثلة في درجات ثلاث هي كما يلي :

أولا : العربية المكتوبة والمعروفة وهي لغة المدارس والادارات والتأليف الأدبي والعلمي والخطب

بواجهنا - في مجال الحديث عن اللغة العربية - مظهران لغويان اثنان ، فنحن نجد انفسنا أحيانا ازاء لغتين ، يطلق على الأولى - بصفة عامة - لغة فصحي أو أدبية ، ويطلق على الثانية لغة الحديث اليومي (أي العامية) . وتحصى هذه الأخيرة بالأجمال بعدد البلاد التي لها صلة بالعربية وهي عادة معرضة لنزوة لا يضاهاها إلا الجهل المتفاوت للغة الفصحى ، وكثيرا ما يكون هذا التضاهي في سائر اللغات .

إن العالم مقسم اليوم إلى كيانات سياسية تستعمل في كل منها بصفة رسمية لغة معينة غير أنه من الصعب أن ندرك أن سكان الولايات المتحدة الأمريكية يستطيعون التكلم باللغة الإنجليزية وأن سكان بلجيكا لا يتحدثون البلجيكية وأن نسبة كبيرة من سكان سويسرا يتكلمون اللغة الفرنسية .

- (1) نشر هذا المقال في مجلة (Jeune Afrique) عدد 799 ، 30 أبريل 1976 .
- (2) أستاذ مبرز في الآداب ، وصاحب منهاج حديث لتعليم اللغة العربية للأوربيين - والمسئول عن برنامج التكوين الدائم في جامعة باريس 8 .

السياسية ، ، الخ وهى مستعملة بصفة عامة في سائر وسائل الاعلام والتبليغ .

ثانيا : العربية « العامية » وهى لغة العلاقات اليومية المستعملة على الاخص في الاوساط الشعبية وينبغى أن نرى هل هى موحدة في كل بلد على حدة ثم على صعيد السوطن العربى كله .

ثالثا : اللغة العامية الميئة بالدخيل الأجنبى خاصة من اللغات الغربية - وهى على العموم - أكثر اللغات استعمالا لدى الطبقات المثقفة والمتوسطة المتخرجة من المدارس الانجليزية بالنسبة للمشرق أو الفرنسية بالنسبة للمغرب وفى هذه الحالة كثيرا ما يتخلل هذه اللغة تعابير بل وجمل تامة بالانجليزية أو الفرنسية ، وتستعمل هذه اللغة بطريقة عفوية ويسدون مراعاة للقواعد النحوية . ويجرنا هذا الى التفكير بكيفية هامة لما يسمى بالفرانجلى (FRANGLAIS) أى للتعبير عن كثرة الدخيل الانجلىزى فى الفرنسية وقد يقال فى هذه الحالة كذلك (ARANGLAIS) أو العرنسى (ARAFRANCAIS) للتعبير عن نفس الغاية فى كل لغة .

اننا نلاحظ أن العمال المغاربة فى فرنسا أو حتى فى شمال افريقيا (ومعظمهم اميون) يستعملون فى كلامهم العادى - بصفة تلقائية - مجموعة من الكلمات أو التعابير محرفة تنحدر أساسا عن اللغة الفرنسية ، فنحن نجد عندهم مثلا الاسبوع (Semaine) يتحول الى (Smana) والغرفة (Chambre) تتحول الى (Chambri) والفندق (Hôtel) يصبح (Outil) ، والبطالة (Chômage) تغدو (Chaumage) ولعبة سباق الخيل المعروفة (Tiercé) ينطقونها (Tirsi) وهكذا ، ، ويضاف الى هذا التحريف اللفظى عند المتكلمين الذين لهم الملم كاف باللغة الفرنسية الأخطاء التى مردها الى تغيير طبيعة الأسماء فى التكثير والتانيث ، فنحن نجد مثلا أن نسبة كبيرة من الأسماء المذكورة فى الفرنسية هى مؤنثة فى اللغة العربية ، لذا فليس غريبا أن يؤنث هذا العامل كلمة Avion (الطائرة) وهى اسم مذكر فى الفرنسية ، وكذلك Chaise (الكرسي) المؤنثة فى الفرنسية فيذكرها ، كما أنه يؤنث (الشمس) Soleil وهى مذكر فى الفرنسية كذلك وهكذا . ويرجع سبب ذلك كما سبق القول الى اختلاف طبيعة هذه الأسماء فى اللغتين . كما أنه من الملاحظ فى حالة عدم اعتبار الجملة الاسمية التى ليس لها نظير دقيق

بالفرنسية واعتبار أن الفعل فى العربية يسبق الفاعل فى الجملة الفعلية على الرغم من هذا الخلاف فمن المستطاع أن تتطابق البنيتان الفرنسية والعربية .

عربية الفد

اللغة العربية تاسم مشترك بين الدول العربية جميعا وهى تزداد فى الوقت الراهن - عمقا وتتحدا يوما بعد يوم ، ويرجع الفضل فى ذلك الى عوامل متعددة ومتطورة باستمرار لها أهميتها الكبرى وتأثيرها البالغ فى توحيد هذه اللغة ، فما هى إذن هذه العوامل ؟ يتعلق الأمر - فى المقام الاول - بمسألة استحداث المدارس الجديدة التى تنمو وتتكاثر تكاثرا مدهشا وعليا فى جميع البلاد العربية والتى يعلم فيها - على الأقل - المواد اللغوية الصرف والمواد الادبية ويتم ذلك التعلم - بطبيعة الحال - بواسطة الفصحى ، وتجدر الإشارة هنا الى أن العامية لم تقص بعد بصفة مطلقة من المدارس الابتدائية غير أنه ليس لهذا الأثر العامى أى أثر لا سيما وأن هذه المدارس تقصد أساسا الى تعليم القراءة والكتابة اللتين يتمان بواسطة الفصحى .

ويتعلق العامل الثانى بأهمية الدور الذى أخذت تضطلع به العربية الفصحى يوما بعد يوم فى البلدان العربية ، وعلى الصعيد العالمى وهو يتركز على التطورات الاقتصادية والوثبات الجبارة التى يرجع سببها فى هذا المجال الى الثورة البترولية بصفة خاصة وما تجلبه من عائدات وأرباح هائلة ، ولا يستطيع عالم اللغة - تبعا لذلك - أن يصدر حكما تقييما بصدد هذا المصدر المسهم فى تطور اللغة العربية وانتشارها فى العالم وانما تصارى ما يمكنه فعله بشأنه هو الإشارة الى هذه الظاهرة من غير التحمس لها أو الاتلال من قيمتها ، ويبقى الأمر أمرا لغويا يعود لاسباب سياسية واقتصادية لا ينبغى اغفال أثرها فى هذا المجال .

لقد أصبحت اللغة العربية لغة رسمية فى كثير من المنظمات الدولية - ولاسيما - فى اليونسكو بجانب اللغات الكبرى الأربعة : الإنجليزية ، والروسية ، والاسبانية ، والفرنسية ، ولئن كان الغربيون ، والفرنسيون من بينهم ، كانوا يعتبرون العربية فيما مضى من جملة اللغات الميتة ولم يهتموا الا قليلا بتدريسها فانها أصبحت الآن عندهم محل اهتمام زائد وصار الناس منذ بضع سنوات يميلون الى تعلمها والتعرف عليها والانتفاع بها .

بين الشعوب ، والارتفاع الشبه العام للمستوى المعيشي
للسكان ، كل ذلك سيساعد ولاشك على ارتفاع المستوى
الثقافي في هذه البلدان جميعا .

كل هذه الظواهر تحمل على التفكير بأن العوامل
الثلاثة المبينة اعلاه متجهة بسرعة نحو التقارب فيما
بينها لتصبح في النهاية امرا واحدا .

ان الاجيال الجديدة من ابناء العروبة في مختلف
البلدان العربية لم يعيشوا تحت السيطرة الفرنسية
او الانجليزية ولكنهم شاهدوا الاضمحلال المتفاوت
السرعة لهذه السيطرة . وهؤلاء سيجدون انفسهم
مهيئين لاستعمال لغة مشتركة فيما بينهم ويمكن ان
نشاهد هذه الظاهرة الآن في سائر البلاد العربية بما
فيها الجزائر التي عرفت الحضارة العربية بها حالة
حصار دام اكثر من قرن من الزمان ، حتى كاد يقضى
عليها الى الابد وحيث بقيت اللهجة البربرية ثابتة بالرغم
من كل ذلك .

ويبدو وجود اللغة متى وقع الاتصال في اطار منطق
مزدوج من نمط صوتي ، ويقوم توحيد اللغة على تحقق
الاتصال . انطلاقا من هذا التعريف يتأتى لنا القول بان
وجود لغة واحدة موحدة لا ريب فيه ، وهذه اللغة
المشتركة تشكل نموذجا راسخا في الاذهان بصفة تجعله
ينفذ باستمرار الى بناء الجمل السادجة متى ارتفع
مستوى الحديث شيئا ما فوق ظروف الحياة العادية .

نحو لغة موحدة

على أن هناك مجالا من الاهمية بمكان تتراكم
الصعاب فيه يوما بعد يوم دون أن نستطيع الزعم باننا
سنجد لها حولا ناجعة وهو مجال المصطلحات السدى
لا يزال في الواقع عبارة عن ارض بور على ان هناك
جهودا صادقة تبذل في هذا المجال وهي ذات اتجاهين
اثنين . يتمثل أولهما في نشاط المجامع اللغوية وخاصة
مجعي القاهرة ودمشق (3) اللذين بذلا وما زالوا يبذلان
جهودا طيبة في هذا الميدان . وبجانب هذا العمل ينمو

ان الدور الذي أصبحت تلعبه اللغة العربية في
عالم اليوم وخاصة في العالم الغربي وهو الذي كان
نبتها نبذا سيسهم حتما في تطورها والرفع من قيمتها
واستقرارها التدريجي كما سيساعدها على فرض
نفسها كلفة دولية بعد ان عم شيوعها سائر البلاد
العربية واعترف لها بصفتها الدولية اعترافا دوليا .

اما العامل الثالث من هذه العوامل الثلاثة فانه
يتمثل في هذا التداخل والتبادل القائم منذ أعرق
العصور بين البلدان العربية واللذين أصبحا يتمسان
اليوم بسرعة بفضل تطور وتعدد وسائل المواصلات
بالاضافة الى مسألة توطيد العلاقات من كل نوع بين
هذه الاطراف التي تزداد يوما بعد يوم ، غير أنه على
الرغم من أن هذه الدول تشكل كيانات سياسية متميزة
فانها ما تزال تعاني - في بعض الاحيان - من خلافات
واضطرابات عنيفة فيما بينها ولغة التخاطب والتفاهم
الرئيسية في تلك العلاقات جميعا هي بطبيعة الحال اللغة
العربية الخاضعة لقواعد نحوية محكمة في حالة الكتابة
او المتميزة بنبرات صوتية خاصة في كل بلد عربي حسب
الانتفاء الجغرافي للمتكلم بها ، غير أنه لا يصعب فهم
هذه النبرات في اي بلد عربي .

وهذا امر طبيعي ، فاللغة الانجليزية مثلا لا يتحدث
بها في بريطانيا العظمى مثلما يتحدث بها في الولايات
المتحدة الامريكية . كما أن الفرنسية لا تستعمل بصفة
سائفة في فرنسا وبلجيكا وسويسرا وكندا الفرنسية .
والأمثلة متعددة في هذا المجال ، ليس غريبا إذن ان
نلاحظ في البلدان العربية بعض الخلافات اللسانية في
حالة التنقل من بلد الى آخر .

وتزداد أهمية هذا العامل الأخير اذا علمنا حجم
الدور الذي أصبحت تلعبه المدرسة وانتشارها الواسع
بين الطبقات الشعبية نتيجة للسياسة التي تنهجها
الدول العربية في ميدان التعليم بعزيمة كبيرة في محاولة
للحاق بالمعصر وتعويض ما فاتها في هذا المضمار كما
أن انتشار وسائل التعبير والتبليغ وسهولة مداولتها

(3) يلاحظ ان الكاتب قد أغفل هنا ذكر مجمع بغداد الذي لا ينكر احد الجهود المحمودة التي
بذلها وما يزال في خدمة المصطلح العربي على وجه الخصوص ، كما ان الكاتب أغفل كذلك
ذكر مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذي يضطلع
بهذه المهمة اساسا منذ ازيد من خمسة عشر عاما (المترجم) .

نشاط لا بأس بفعاليته وإن كان غير منظم وهو ما تقوم به الصحف والمجلات ومختلف اللقاءات والندوات التي تعقد بشأن اللغة العربية .

المثال - الذي يسمى في تونس قنطرة نجدته في كل من دمشق والقاهرة يقال له « جسر » للتعبير عن نفس الدلالة وإن كان اللفظ معروفاً معرّفة تامة في المدن الثلاث .

أما مسألة اختلاف المسميات وتباينها بين بلد عربي وآخر فليس له أي أثر على مسيرة اللغة العربية . فحتى لو سمي شيء في تونس بغير ما يسمى به في القاهرة فإن كلا الاسمين عربيان ومعروفان إن لم يكونا شائعين في جميع البلاد العربية . فالجسر - على سبيل

تلك أمثلة بسيطة أحببت الإشارة إليها وكما أشرت سابقاً فإن توحيد اللغة العربية - الذي هو سائر نحو التحقيق - سيقضي شيئاً فشيئاً على الخلافات القائمة والتي ستصبح مع الأيام ضئيلة جداً إن لم يبق لها أثر يذكر على الإطلاق .



مقتطفات وآراء

- 221 1 - الكتب اللغوية الجديدة
- 2 - مجامع اللغة العربية في الوطن العربي
- 225 * توصيات وقرارات
- * اعداد قانون في سوريا للحفاظ على
- 225 سلامة اللغة
- 226 * مجمع اللغة العربية الاردوني
- 231 * تصحيح الاصول
- 237 * انتشار اللغة العربية في العالم



العموم وبالتفصيل ، وفهارس بأسماء مراجعي الكتب
وناقديها .

لقد أسدى الدكتور باكلا خدمة جليلة للغة العربية
وللباحثين في علومها على الرغم من أن الكتاب لم يستقص
جميع الأبحاث والدراسات اللغوية وأنه لم يسر على
وتيرة واحدة من حيث تقديم نبذة قصيرة عن كل بحث ،
فقد أدرجت بعض البحوث دون تعريف بمحتوياتها .

ويبدو أن المؤلف يدرك ذلك فهو ينوي إصدار
طبعة جديدة مزودة تضم الأبحاث التي نشرت بعد صدور
الكتاب ، وتستكمل النقص فيه ، وقد أهأب بكل الباحثين
والدارسين والمؤلفين بأن يبعثوا إليه بمعلومات كافية
عن مؤلفاتهم .

2 — الدكتور نايف خرما ، أضواء على الدراسات
اللغوية المعاصرة (الكويت : المجلس الوطني للثقافة
والفنون والآداب ، 1978) . — 340 صفحة في سلسلة
« عالم المعرفة » —

الكتاب عرض شائق بأسلوب واضح للاتجاهات
اللغوية المعاصرة في الغرب يفيد القارئ المثقف وطالب
الدراسات اللغوية المبتدئ . فالمؤلف لا يفترض أن
للقارئ معرفة سابقة في علوم اللسان ، ولهذا جاء
عرضه عاما واضحا خاليا من رطانة المختصين معرفا
بالمصطلحات اللغوية التي استعملها . ولما كان الكتاب
ينصب على الدراسات اللغوية الغربية المعاصرة فليس
للقارئ أن يتوقع شيئا عن التراث العربي في علوم
اللغة في هذا الكتاب ، فحتى مراجعته تكاد تخلو من
الإشارة إلى تراث العرب الموسوعي في الصرف والنحو
والمعروض والمعجم .

ينقسم الكتاب إلى مقدمة وخمسة فصول ،
يتناول الفصل الأول التطبيقات العملية لعلم اللغة في
مساعدة الصم والبكم وابتكار طرائق رمزية معينة
للاتصال بهم ، وفي أنظمة الاتصالات السلوكية واللاسلكية،
وفي تعليم اللغات القومية والاجنبية ، وفي التخطيط
اللغوي ، وفي الترجمة والترجمة الآلية ، وفي غير ذلك
من مجالات الحياة العملية . ويدور الفصل الثاني حول
اهمية اللغة ودورها في العلوم الانسانية ، وتاريخ
الدراسات اللغوية قديما وحديثا ، ومحاولات تقنينها
وأخضاعها إلى المنهج العلمي في البحث ، أما الفصل
الثالث فيبحث في النظريات الحديثة في طبيعة اللغة

البشرية فيسرد خصائص لغة الانسان وما يميزها عن
لغة الحيوان ، وتشكل وظيفة اللغة في المجتمع
ومستوياتها الاجتماعية المتباينة موضوع الفصل الرابع
من الكتاب . أما الفصل الخامس فيعرض المدارس
اللغوية الغربية الحديثة وخصائصها المميزة وطرائقها
في التحليل النحوي ، ونظرياتها المختلفة كالنظرية
البنوية ، والنظرية التحويلية التوليدية .

إن الدكتور نايف خرما يستحق التهنئة على هذا
الكتاب الجيد الذي يعد إضافة كريمة لمكتبة المثقف
العربي .

3 — الدكتور سلمان العاني ، قراءات في علم اللغة العربي

Dr. Salman H. Al-Ani (ed), Readings in Arabic
Linguistics (Bloomington: Indiana University
Linguistics Club, 1978).

يتكون هذا الكتاب الذي يقع في 594 صفحة من
32 مقالا باللغة الانكليزية سبق ان نشرت في مجلات
متخصصة مختلفة في الفترة الواقعة بين عامي 1935
و 1971 ، وتنصب كلها على اللغة العربية ، وقد قسمت
هذه المقالات إلى أربع مجموعات طبقا لموضوعاتها وهي
تاريخ اللغة العربية ، وصرفها ونحوها ، ونظامها
الصوتي . ولا تقتصر هذه البحوث على اللغة العربية
الفصحى فحسب بل تتناول لهجاتها الدارجة أيضا .

وينتمي كتاب هذه المقالات إلى مختلف المدارس
اللغوية الحديثة في الغرب كالمدرسة البنوية ، والمدرسة
انبريطانية ، ومدرسة براغ ، والمدرسة التحويلية
التوليدية . ومن بين الكتاب لغويون مشهورون مثل
رومان يعقوبسن ، وزلفا هريس ، وجوزف غرينبرغ ،
وجورج تريكر ، ومستعربون بارزون مثل جارلس
فرغنسن ، وريتشارد هريل ، وميتشل ، ووليم كوان .
ولعل القارئ يتساءل لم يهتم هذا العدد الكبير من
اللغويين العظام باللغة العربية فيدرسونها ، ويبحثون
فيها ، ويكتبون عنها . يقول اللغوي الأمريكي فرد
هاوسهولدر الذي كتب مقدمة الكتاب موضوع المراجعة
« يبدو أن اللغة العربية تثير مشكلات تمثل معظم المفاهيم
النظرية الأساسية في علم اللغة ، فتجتذب لذلك خيرة
الاممغة اللغوية » . ويقول هاوسهولدر عن مقال زلفا
هرس المنشور في هذا الكتاب بعنوان (مونيما العربية
المصرية) : « يشكل هذا المقال مرحلة هامة في تطور
النظرية الفونيمية الأمريكية . . » ، وعن مقال يعقوبسن

ولذلك نهى تحافظ على كثير من ملامح اللغة العربية القديمة .

ومما يؤسف له أن البحوث اللغوية في اللهجات العربية عموماً وفي لهجات الجزيرة العربية خصوصاً محدودة قام بإجراء معظمها مستشرقون ، وكان من بينهم ت . م . جونستون أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن الذي وضع كتابه **دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية** بعد دراسة ميدانية اعتمد فيها على تحليل نصوص سجلها من أفواه المخبرين في عام 1958 . وقدمها في الأصل إلى جامعة لندن في شكل رسالة منح بموجبها درجة الدكتوراه . وشملت هذه الدراسة الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب الممتد من الكويت شمالاً حتى عمان جنوباً . وانقسمت إلى مدخل وأربعة أبواب . وفي المدخل يورد المؤلف نبذة موجزة عن تاريخ المنطقة واقتصادها وتركيبها السكاني ، ويشرح طريقته في ترتيب مادة الكتاب ومنهجه في البحث ، وفي الباب الأول يسرد « الخصائص العامة للهجات الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب » . وتناول الأبواب الثاني والثالث والرابع هذه اللهجات من حيث تشكيلها الصوتي ، وصرفاً ، ونحوها على التوالي .

لقد تصدى لترجمة هذا الكتاب أديب عالم لغوي من أبناء الجزيرة العربية ، درس اللغتين العربية والانجليزية في مصر وانكثرتا وبرز فيهما هو الدكتور أحمد الضبيب فجاءت ترجمته مثلاً لما ينبغي أن تكون عليه ترجمة الكتب المتخصصة من دقة في النقل ووضوح في الأسلوب . ولقد صدر المترجم الفاضل الكتاب بمقدمة قيمة شرح فيها تاريخ البحث في اللهجات وأهميته ، وأشار إلى ما نشر من كتب في هذا المجال . ولم يكتف بذلك بل ذيل صفحات الكتاب بإضافات وملاحظات حضارية ولغوية مفيدة .

5 - الدكتور محمود اسماعيل صيني ، **نظام الجملة في اللغة العربية** .

Mahmoud Esma'il Siny, *The Syntax of Urban Hijazi Arabic* (Beirut : Longman/Librairie du Liban, 1978).

تعد رسائل الدكتوراه التي يقدمها طلبة الدراسات اللغوية العربية إلى الجامعات الأوروبية والأمريكية

(الفونيمات المخففة في اللغة العربية) : « يمثل هذا المقال آخر تعديل هام على نظرية الخصائص المميزة التي جاء بها يعقوبسن وأخذها عنه فيما بعد وعد لها جوهرية اللغوي موريس هله . » ومن هذا يتبين لنا كيف ن الدراسات العربية ساعدت اللغويين الغربيين على تعديل نظرياتهم اللسانية وتطويرها .

يستحق الأستاذ الدكتور سلمان العاني أستاذ اللغة العربية في جامعة إنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية الشكر والتقدير لجهده القيم في تجميع مواد هذا السفر الجيد من مصادر المتفرقة تسهيلاً لعمل الباحثين وخدمة للثقافة العربية .

4 - ت . م . جونستون ، **دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية** ترجمة الدكتور أحمد الضبيب (الرياض : مطبوعات جامعة الرياض ، 1975) .

على الرغم من أن اللغويين العرب يتفقون على أن اللغة العربية الفصحى هي حجر الوحدة الثقافية والفكرية للامة العربية والإسلامية ، وأنها ينبغي أن تكون الوسيلة الوحيدة في الاتصال والتربية والإعلام في الوطن العربي ، فإنهم لا يتكفون عن البحث في اللهجات الدارجة ودراساتها أدراكاً منهم لأهمية ذلك البحث وتلك الدراسة في الوقوف على أسرار تطور اللغة العربية الفصحى ذاتها ، وفي تعليمها لابنائها وللناطقين باللغات الأخرى بطريقة أكثر فاعلية وأكبر سرعة ، وذلك عن طريق الوقوف على الملامح المشتركة بين الفصحى واللهجات الدارجة ، وعلى نقاط الاختلاف بينهما . ولعل لهجات الجزيرة العربية تتمتع بأهمية خاصة في هذا المجال لأن الجزيرة هي موطن العرب الأول ، الذي ترعرعت فيه اللغة العربية ، وانتقلت منه اللهجات إلى بقية أجزاء الوطن العربي الحديث . ويرى الدكتور الضبيب « أن ثقافة الجزيرة العربية في مجملها ثقافة منحدره من أصول عربية قديمة لم يؤثر فيها الدخيل الوافد إلا بقدر ضئيل جداً ، فعادات الجزيرة وتقاليدها وفنونها الشعبية القولية منها وغير القولية هي في معظمها امتداد لما كان موجوداً عند العرب القدماء ، وكذلك لهجات الجزيرة في بواديهما وشعابها وقراها هي في معظمها تطور للعربية الأم في متنها الأدبي أو فرعها النهجي ، أثرت فيها ظروف الجزيرة البيئية والاجتماعية

6 - محمد عنبر ، جدلية الحرف العبرى او
ديالكتيك الالفاظ (دمشق : طبعة اولية ، 1977) .

لعل الكتب التى تبحث فى فلسفة اللغة فى الوقت
الحاضر هى اقل عددا من تلك الكتب التى تتناول نحو
اللغة او نظامها الصوتى او الصرفى .

وتبنى آراء الاستاذ محمد عنبر الفلسفية اللغوية
فى كتابه هذا على اساسين هما :

اولا : ان بناء الفكر وبناء المادة هو واحد ، ولهذا
فان اللفظ الذى هو تعبير عن الفكر والشئ الذى يرمز
اليه لهما بناء واحد كذلك ، والحركة فى الوجود تظهر
فى الالفاظ على مثل ما هى عليه فى المادة ، ثانيا ، يرى
القائلون بالجدل (الديالكتيك) ان ضد كل شئ قائم
فيه ، فالؤشر يتضمن فى داخله المؤشر بحكم الضرورة ،
وان السالب والموجب صنوان لا يفترقان ، وعلى هذا
التضاد يقوم الوجود . واذا طبقنا هذا المبدأ على الالفاظ
اللغوية وجدنا ان كل لفظ يحوى ضده فيه ، فاذا عكست
الحروف جئت بعكس المعنى . فلفظ (س ب ح) ضد
لفظ (ح ب س) ، وهذان اللفظان متضادان معنى
وسبكا كتضاد (ع ل ق) و (ق ل ع) .

ويرى الاستاذ محمد عنبر ان هذه الظاهرة اكثر
شبوعا فى الالفاظ الثنائية الاصل ، لان الثنائى هو
الاصل فى اللغة العربية ، اما الثلاثى فهو قائم على
وجهة الثنائى الاصل . ومن هنا اصبح حركة الجدل
فى الثنائيات اوضح واجلى منها فى الثلاثيات .

ويقع الكتاب فى 600 صحيفة ويتألف من ستة
نصول تتناول موضوعات المعنى الاصلى ، والزمان
والمكان بين الكم والكيف ، ومعنى الجدل . والحريية
والضرورة ، وتشابه الاضداد ، والمعرفة وحركة الجدل .
وتتم مناقشة هذه الموضوعات جميعها فى ضوء النظرية
التي يستند اليها الاستاذ محمد عنبر ، مع ضرب امثلة
كثيرة من اللغة العربية للتوضيح والتدليل .

ولقد بعث المؤلف الفاضل بنسخ من كتابه هذا
فى طبعته التجريبية الى عدد كبير من المرزوين فى
الدراسات اللغوية راجيا تزويده بأرائهم وملاحظاتهم
عليه قبل اخراجه فى طبعة جديدة .

على القاسمى

مساهمة قيمة فى تطبيق النظريات اللغوية التحليلية
والوصفية على اللغة العربية . والكتاب الذى يبرح
أيدنا هو اول بحث - على ما نعلم - يستخدم مبادئ
التحليل (التغميى) Togmemics فى دراسة نظام
الجملة فى لهجة الحجاز الحضرية المعاصرة ، اى اللهجة
المحكية فى مدن المنطقة الغربية فى المملكة العربية
السعودية وهى مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة .
نالمؤلف الفاضل درس النظريات اللغوية الحديثة فى
جامعة جورج تاون فى واشنطن وتلمذ فى التحليل
التغميى على رائد من رواد هذه المدرسة هو الدكتور
والتركوك ، ثم كتب رسالته للدكتوراه التى هى أصل
هذا الكتاب .

ويقع الكتاب فى 207 صفحة وينقسم الى ثمانية
فصول وقائمة بالمراجع تحتوى على اهم رسائل
الدكتوراه التى تناولت اللغة العربية ولهجاتها الدارجة
بحثا وتحليلا ، والفصل الاول بمثابة مقدمة يبين فيها
المؤلف اهداف الدراسة ، والمادة اللغوية التى استخدمها ،
وطريقة البحث التى اتبعها فى تحليلها ، وقائمة
بانفونييات القطعية للهجة الحجازية الدارجة . فالدراسة
تنصب على نحو اللهجة الحجازية ، واستخدم المؤلف
طريقة « الانتصات الانتقائى » فى دراسة النصوص
اللغوية التى سجلها لنفسه او لغيره من الناطقين بهذه
اللهجة . ومن جدول الفونييات القطعية (الوحدات
الصوتية الاساسية) ، نجد ان للهجة الحجازية 27
صوتا ساكنا وثمانية من اصوات اللين ، وبذلك تتوق
فى مجموعها عدد الفونييات القطعية فى لهجات عربية
اخرى .

ويقدم الفصل الثانى تحليلا لاقسام الكلام فيقسمها
الى اقسام رئيسية (الاسماء ، الصفات ، الاعمال ،
الضائر ، الاعداد) ، واطسام ثانوية هى الادوات .
ويتناول الفصل الثالث انواع الجمل فى اللهجة الحجازية .
اما الفصل الرابع فيقدم تحليلا لانواع الجمل والمبارات
فى اللهجة موضوع البحث . وتتناول الفصول الباقية
بنية العبارات والقواعد التحويلية التوليدية التى تحكم
استخلاص بعضها من بعض .

ان هذا الكتاب يقدم نموذجا يحتذى فى تطبيق
النظريات اللغوية الغربية المعاصرة على دراسة
اللهجات العربية ، من اجل تزويدنا بفهم اشمل للفتنا
الفصحى وعلاقتها بالعابيات الدارجة .